ليس غرضنا، هنا، اجراء دراسة تفصيلية عن موضوع وعي «المسألة اليهودية» في العقل الرسمي لفرنسا، قبل الثورة وبعدها، فهذا يخرج عن نطاق اهتمامنا، وكذلك عن اهتمام القارىء العربي. نريد ان نوضح ان حلولاً لما يسمى بالاقليات الاجتماعية والدينية كانت موضوعاً رئيساً

نص خطاب نابوليون بونابرت الى اليهود الشرقيين

من بونابرت، القائد الاول في جيوش الجمهورية الفرنسية في افريقيا وآسيا، الى الورثة الشرعيين لارض ـ اسرائيل.

الاسرائيليون هم الامة الفريدة التي لم تستطع آلاف السنين وشهوة الفتح والطغيان ان تجردهم سوى من اراضيهم، ولكن ليس من اسمهم وكيانهم القومي.

وعلى الرغم من ان اولئك المراقبين المحايدين المهتمين بمصائر الامم لا يتحلون بمواهب الانبياء، امثال اشعيا ويوئيل، فانهم شعروا، ومنذ وقت طويل، بما كان تنبآ به، وهذا عندما شاهدا الخراب الذي كان يزداد اقتراباً من مملكتهما ومن ارض آبائهما:

«والذين فداهم الرب يرجعون ويأتون الى صهيون بترنيم ويكون على رؤوسهم فرح أبدي ويتبعه السرور والفرح وتنهزم عنهم الحسرة والتأوه (النبوءة اشعيا، ٣٥:١٠)»

ألا ثوروا على العار، يا ايها المشردون، وأعلنوها حرباً لم يحدث مثلها في تاريخ البشرية. [حرب] تقوم بها امة اعتبرت ارضها ـ بجرة قلم من الحكام ـ غنيمة لاعدائها الذين يريدون، بفظاظة، تقاسمها فيما بينهم وكما يشاؤون. ان [فرنسا] تنتقم لعارها ولعار أبعد الامم التي تركت منسية وقتاً طويلاً تحت اغلال العبودية، وتنتقم للعار الذي احاق بكم خلال الفي سنة.

ومع ان الوقت والظروف لا تبدو مواتية للمناداة بمطالبكم ولا بالتصريح بها، وفي الوقت الذي يبدو أنكم على العكس من ذلك تُدفعون الى التخلي عنها نهائياً، فان امة تعرض عليكم، في هذا الوقت بالذات، وبعكس كل التوقعات، تراث اسرائيل. ان الامة العظيمة التي لا تتاجر بالشرف، كما فعل اولئك الذين باعوا اجدادكم الى كل الامم، تناديكم الآن؛ وذلك بالتأكيد ليس من اجل ان تقوموا بغزو ميراثكم، كلا، بل من اجل ان تستلموا منها ما قد احتلته، حتى الآن، وبحصانة وبمساعدة هذه الامة، كي تبقوا اسياد البلاد، ولكي تدافعوا عنها ضد كل الذين يريدون غزوها.

لقد جعل الجيش الصغير الذي بعثتني العناية الالهية به الى هنا من القدس مقر قيادته الرئيسة؛ ان هذا الجيش الذي يُقاد بالعدل، ويصحبه النصر، سوف ينتقل، بعد ايام قليلة، الى دمشق، المدينة المجاورة التي تهدد مدينة داوود.

الا هبّوا. برهنوا على ان القوة شبه الساحقة لمضطهديكم قد استطاعت، بالتأكيد، ان تصيب شجاعة سليلي اولئك الابطال، الذين كان عهد اخوتهم مبجلاً حتى في اسبرطة وروما (يوئيل، ٣:٦)، * غير ان الفي سنة من العبودية لم تنجح في القضاء عليها. ألا هبّوا. فها قد سنحت الفرصة التي قد لا تتكرر ثانية خلال ألفي سنة، من اجل المطالبة باسترداد حقوقكم المدنية بين سكان المعمورة والتي حرمتم منها بشكل مخزٍ طيلة الفي سنة، ومن اجل المطالبة باستعادة كيانكم السياسي كأمة بين الامم، وبحقكم الطبيعي في عبادة يهوه بحسب ايمانكم علناً، ومن غير شك، الى الابد (يوئيل، ٤:٢) * *.

الاشارات التوراتية هي في الاصل. وقد عدنا الى العهد العتيق (طبعة بيروت).

* اشارة الى ما ورد في العهد العتيق: «من وجهه ترتعد الشعوب وجميع الوجوه قد نضبت نضرتها» (يوئيل، ٢:٦).

* * «اجمع جميع الامم وانزلهم الى وادي يوشافاط واحاكمهم هناك من اجل شعبي وميراثي اسرائيل الذين بددوهم بين الامم واقتسموا ارضي»؛ بالفرنسية (يوئيل، ٤:٢) وبالعربية (يوئيل، ٣:٢).